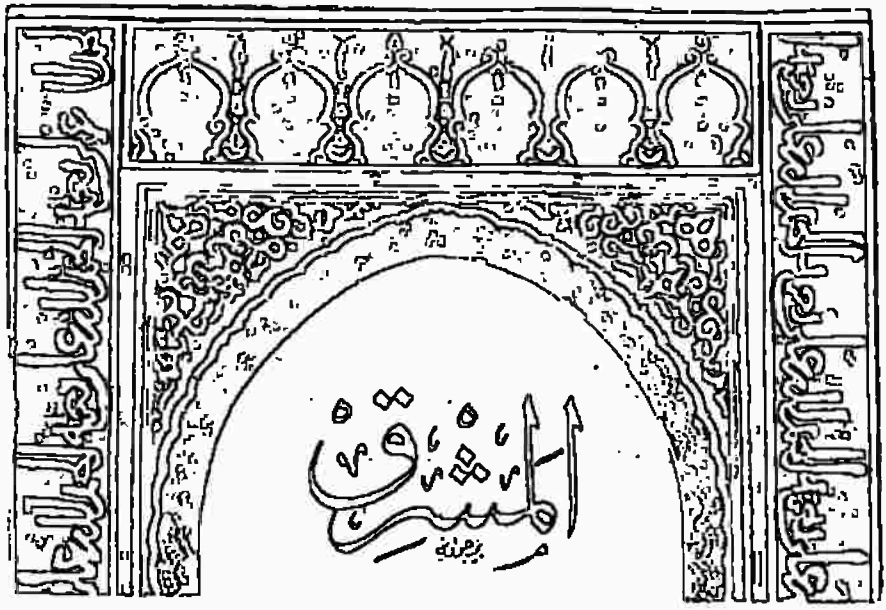

تموز ١٩٢٩

نفوذ السيد المسيح

في حياتنا الادبية

بقلم الاب مرمرجي الدومنيكي

من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

قبل طرق باب هذا البحث ، نرى من اللائق ، لا بل من اللازم ان نحدّد الحياة الادبية . فما ادراك ما هي ؟ لكلمة الأدب او الآداب في اللغة العربية جملة معانٍ ، منها معنى حسن المعاملة والكياسة مع الناس ؛ ومنها دلالتها على مجموع نتاج القرائح في امة من الامم ، سواء كان ذلك في باب النثر او النظم ؛ ومنها اطلاقها على الاخلاق . وهذا هو المعنى المراد من لفظ الادب او الآداب في ما نحن في صدده . فما الاخلاق ؟ الاخلاق عادات ، والعادات مَلَكات حاصلة فينا بتكرار الافعال ؛ والافعال نتاج القوى الانسانية . وطبقاً لهذه القوى ، تنقسم الافعال الى انواع : منها الافعال البدنية ، ومنها الافعال

العقلية ، ومنها الافعال الارادية . ولهذه الافعال الارادية ميزة خاصة في الانسان ، دون بقية الخلائق ، وهي ميزة الحرية .

على ان لكل حياة غايةً ونظاماً . واذ كانت حياتنا ، على اختلاف انواعها مفعولاً من مفاعيل قدرة الله الخالق الذي ، لحكمته السامية ، لا يصنع شيئاً عبثاً ، فقد عين سبحانه لحياتنا غاية ونظاماً . فغاية هذه الحياة هي الحياة الاخرى ؛ ونظام هذه الحياة هو الشرائع والسنن المختلفة التي وضعها عزّ وجلّ لنبلغ ، باتباعنا اياها ، الى غايتنا المقصودة . واذا كان الامر كذلك ، وجب على المرء ان يطابق اعماله ، ومن ثمّ اخلاقه ، لاوامر الله ونواهيه . بيد انه اذ كان ، كما قلنا ، متصفاً بالحرية ، كان في امكانه ان يسير الى غايته عاملاً بهذه الشرائع الالهية او ان يحيد عن السبيل المؤدية اليها ، بمخالفته السنن المذكورة ؛ مما نجم عنه وجود الخير اي الائتمار باوامر الله ؛ ووجود الشرّ اي معاكسة ارادته القدوسة . ونجم ايضاً وجود حياةٍ ادبية صالحة ، وحياةٍ ادبية طالحة ؛ مما يمكننا معه ان نحدد الحياة الادبية بعبارة واحدة وهي انها حياة الاخلاق الفاضلة الدافعة صاحبها الى اتيان الاعمال الصالحة واجتناب الاعمال الشريرة ، بلوغاً الى الغاية المتوخاة من خلقه ووجوده في هذه الدنيا ، اي بالآخرة الخيّرة ، والتمتع بالسعادة الخالدة .

فاذا تقرر هذا كان في وسعنا الان ان نبحث عن نفوذ السيد المسيح في هذه الحياة الادبية اي الاخلاقية . ولكي يكون البحث مفيداً ، لننظر اولاً في ماهية هذا النفوذ ، ثم في نتائجه .

* * *

نفوذ السيد المسيح في حياتنا الادبية نفوذان : نفوذ خارجي ، وهو نفوذ المثال ؛ ونفوذ داخلي ، وهو نفوذ فاعلية النعمة .

اما في شان النفوذ الخارجي فنقول :

ان من اراد السير في سبيل الرقي والبلوغ الى الكمال ، في اي ميدان كان ، تحتم عليه ، بادئ بدء ، ان يتخذ له مثالاً ، هو الصورة العالية ، او

المثلى لحقيقة الكمال الراغب فيه . وطبقاً لهذه القاعدة ، نرى ان للفنّان مُثلى ، وللشاعر مُثلى ، وللخطيب مُثلى ، اي ان لكل امرئٍ ، عاملٍ بعقل وحكمة ، مثلى . فمن ثمّ وجب ان يكون للمسيحي ايضاً مُثلى ، يسعى وراء تحقيقها في حياته الادبية . فما هي هذه الصورة المثلى ؟ هي صورة كل فضيلة وكمال ؛ هي صورة القداسة السامية ؛ هي صورة الاله المتأنس ؛ هي صورة ربنا يسوع المسيح . ان صورة المسيح لصُورةٌ طالما جدّ الاساتذة النوابغ في ان يرسموها على قماشهم ، او ان ينقشوها على رخامهم ، او ان يصوّروها بفصاحتهم ، دون ان يتوصلوا الى ادراك مرغوبهم . على ان ما لم يستطع المصوّر تحقيقه على قماشه ، ولا النقّاش على رخامه ، ولا الشاعر في قصائده ، ولا الخطيب في خطبه ، فمن دعوة المسيحي ان يسعى في ابرازه في شخصه .

اجل ! اننا نسمع المخلّص عينه يحرّضنا بقوله : « كونوا كاملين كما ان ابانا السماوي هو كامل » فكأنّنا به يقول : ايها المؤمنون ، عليكم ان تعتقدوا بكمال الله ؛ لكن ، ان اردتم ان تعرفوا ما هو كمال الله ، فايقنوا انه انا هو بذاتي . نعم انا صورة الآب وجوهره ؛ انا ضياء مجده ؛ انا الكمال الالهي الآتي اليكم بهيئة بشرية . فانا اذن الواجب عليكم ان تقتفوا آثاري ، ان رغبتم في الحصول على الكمال . هذا هو المثال الذي ينبغي لنا ان نحققه في حياتنا الادبية . فمن شاء الاقتداء بغيره ، يمكنه ان يصبح فيلسوفاً ، او شاعراً او فنّاناً ، او خطيباً ، حتى عبقريًّا ؛ واما ان يكون مسيحياً ، فلا ، ثم لا . ان المسيحي اللائق به هذا الاسم هو الذي يطبع في نفسه رسم السيد المسيح ؛ هو الذي ينشئ من ذاته صورة المسيح ؛ فيضحي مسيحاً آخر . ان الكلمة صار جسداً وحلّ فينا . وقد عرض نفسه بشكل بشري ، ليكون مثالاً الهياً لنا . فانه متصل باللاهوت من جهة ، لانه اله حقّ ؛ وهو متعلق بالبشرية من جهة اخرى ، لانه انسان حقّ . فما اعظم صورة الاله المتأنس ، ما اجلّها ، ما اجملها ، ما اسطع بهاءها ! ولذا فقد شغفت بها الشعوب ، فاحبتها ، واقتدت بها .

اجل ! ان وجه المسيح لهو كالشمس للناظر اليه ؛ لانه يهبه النور

والحرارة والحياة . وفضائل المسيح قد اذهلت العالم ، فجذبت اليه النفوس ، فاخضعتها طوعاً لسلطانه . لانه لاسمه السجود ، قد علّم الجهّال ، وقاد التائهين ، وارشد المتثاقلين ، وعزّى الحزانى ، واشبع الجياع ، واروى العطاش ، وشفى المرضى ، واقام الموتى .

قد احبّ الصبيان وباركهم ؛ واشفق على الفقراء ، فدعاهم اليه ، فقبلهم في معشره ، فجالسهم ، فآنسهم ، فتواضع امامهم ، بل قل خدمهم .

التجأ اليه الخطأة ، فكان لهم كالملجأ الحصين ؛ اذ غفر لهم جرائمهم ، وحرّضهم على التوبة ، وعدم الرجوع الى سنيّ حياتهم السالفة .

اتخذ النفوس رعيةً له ؛ فسار بها ، كالراعي الصالح ، الى المناجع الخصبة ، والمناهل العذبة ؛ ووقاها من هجمات الذئاب الخاطفة . قد اضحى أباً واصبح الورى اسرته الكبرى ؛ فاقام أود اولاده الامناء ؛ متوقعاً ، بطول اناة ، عودة الشُطّر نادمين ، ليضمّهم الى صدره ، ويرجعهم الى بيته . زاد حنوّه على حنوّ الامّ الرؤوم ، الحاضنة اطفالها كحضن الدجاجة فراخها تحت جناحيها .

عامل اصحابه معاملة الخلّ المحض الوداد ، الفاضّ الطرف عن السيئات ، غير المقابل الخيانة الّا بانبساط الجنان وعذوبة اللسان . ولم يكن ليمسّ الّا بتوق القصبة المرضوضة ، خشية ان تنكسر ، والفتيلة المدخنة ، لئلّا تنطفئ . وقد قضى سحابة عمره صانعاً المعروف ، مشرقاً شمسه على الاخيار والاشرار ، وممطراً على الابرار والظالمين . مما حمل ، ولا يزال يحمل الناظرين اليه والمشغوفين بحبّه ، على الهتاف قائلين :

هذا هو المثال الذي يخلق بنا ، بل يجب علينا الاقتداء به . وان لم يكن لنا مندوحة الى تحقيقه بكماله ، فلا اقلّ من ان نحقق شيئاً منه . فمنهم من يتأثره في تواضعه ، ومنهم في محبته ؛ ومنهم في طاعته ؛ ومنهم في وداعته ، ومنهم في نقاوته ، ومنهم في تجرّده ، ومنهم في تفانيه ، ومنهم في تضحيته . الخلاصة ، يجهد كل منهم في طبع رسمه في نفسه ، بطريقة من الطرائق . وكلما اشتدّ انطباع صورة المسيح في قلوب المؤمنين ، ازدادت مسيحيّتهم ؛ وبازدياد مسيحيّتهم ، تسمو فضيلتهم وقداستهم وهكذا يظهر ان

الحياة الادبية هي حياة الفضيلة ؛ وان اوج الفضيلة هو القداسة ؛ وان كليهما لا يتمّ الّا بتلقّي آثار المخلّص الالهي . وهـذا هو نفوذ المسيح الخارجي في حياتنا الاخلاقية.

* * *

على ان نفوذ الرب لا يقف عند هذا الحدّ ، بل انه يؤثّر في حياتنا تأثيرًا له فاعلية داخلية. لان المسيح ليس مثال حياتنا فقط ، بل حياة حياتنا الادبية. وهي ليست بمتوقفة على حياتنا الطبيعية البشرية ، بل هي قائمة في ما يضاف الى تلك من حياة اسمى ، تفوقها تفوّقًا عظيمًا . وهذا ما يجعل المسيحي متميزًا عن غيره . لانه ، فضلًا عن الحياة البشرية ، يحيا حياةً فائقـة الطبيعة ، هي حياة المسيح فينا ؛ فالمسيح مركزها وروحها ومحرّكها . ممـا ينشأ عنه ان المسيحي يعيش في المسيح ، والمسيح يعيش فيه ، طبقًا لقول الرسول المصطفى: « ان الحياة لي هي المسيح.» وقوله الآخر: « انا حيّ ؛ لا انا ، بل انما المسيح حيّ فيّ ». وان كنا جميعًا عائشين بحياة المسيح، فنحن اذن اخوة. وان كنا كثيرين ، فمع ذلك نحن واحد بالمسيح ؛ لانه هو الرابط الذي يربطنا ، فيوحّدنا.

ونتيجة حياة المسيح فينا هي انها تولّد في نفوسنا حسًّا يجدر بنا ان ندعوه الحسّ الخاصّ بالمسيحيين . لما هو مقرّر من ان كل حياة تنشئ في صاحبها حسًّا يطابق طبيعتها . وهذا الحسّ هو حسّ روحاني الهي ، هو حسّ الربّ الذي نوّه به الرسول المصطفى بقوله : « ليكن فيكم من الافكار والاخلاق ما هو للمسيح يسوع » وهو شعور يساعدنا على ادراك شرفنا الذي لا مثيل له ؛ ذاك الشرف الذي يلزمنا بالسعي وراء كل ما هو طاهر وسام واهل بمقامنا ؛ ويثبت لنا اننا من أرومة وسلالة الهية ، هي سلالة القديسين ؛ ويوحي الينا واجبنـا العظيم ، واجب بذل الجهد في تحقيق الكمالات الالهيـة في شخصنا واعمالنا . ويولّد فينا الكراهية لكل شر ، والميل الى كل خير . ومن ذلك ينشأ في قلب المسيحي التوقان الى كل ما هو روحاني ، سماوي ، اي الى القداسة. اجل ان التوقان الى القداسة هو رغبة كل من يشعر في نفسه بنفوذ قدّوس القديسين؛ التوقان الى القداسة هو هيام الجنان ؛ هو اشتياق النفس ؛ هو اندفـاع كل

الحياة ؛ هو هتاف الانسان القائل : اني مسيحي ؛ وبهذه الصفة احوي في داخلي حياة المسيح . اني مسيحي ؛ ولذا فلا يمكنني ان انفصل عن المسيح . ولهذا فهما كلفني الأمر ، اني عازم ان أضحي فاضلًا صالحًا قديسًا . وكما ان النبات مفتقر الى الندى ، والزهر الى الشمس ، والصدر الى الهواء ، فالمسيحي مفتقر الى حياة المسيح فيه . وهذا ما يفهمنا ان الثمرة الناشئة عن هذه الحياة هي ثمرة الفضيلة ، هي ثمرة القداسة . واينما القي بذرها ، سواء اكان في فرد ، ام عائلة ، ام أمّة ، فهناك تنمو وتزهر وتزهو وتثمر . وهذا نمو المسيحية الحقّة . لانه كلما ازداد المرء مسيحيةً ، ازداد فضيلةً وقداسة . ولذا فالانسان المدّعي امكان فصل حياته الاخلاقية عن حياته المسيحية يغشّ نفسه ويغشّ غيره . فمن اراد انماء مسيحيته ، فعليه بانماء الفضائل في اخلاقه . وهذا لا يحصل الّا بنفوذ المسيح الذي هو مثال حياتنا الادبية ، وحياتها ، ومحرّك قواها واعمالها .

* * *

ها قد وقفنا على حقيقة نفوذ المسيح في حياتنا الادبية ؛ فلنرَ الآن هل تحقق هذا النفوذ بالواقع . ويمكننا معرفة ذلك باطلاعنا على نتائجه في خلال تاريخ الدين المسيحي . فاننا اذا استنبأنا هذا التاريخ ، وجدنا فيه شاهدًا جليًا ان ديننا القويم انشأ بين البشر ، في كل زمان ، وكل مكان ، وبفعل قوته الذاتية ، جماعات فجماعات من الافاضل والقديسين . وما تأريخ النصرانية الحقة سوى تاريخ السيد المسيح ناميًا ، زاهرًا على كرور الاحقاب ، مظهرًا قوته ونفوذه ، ببواهر القداسة المتلألئة انوارها في جنوده المسيحيين ، وابطال الحياة الادبية . مما يسوغ لنا القول معه ان القداسة ، التي هي الفضيلة بالغةً حدَّ البطولة ، مزيّة خاصة بالدين المسيحي دون غيره .

اجل ان العالم القديم قد امتاز بعظائم ومفاخر ليس من شأننا انكارها . فقد نبغ فيه شعراء فحول ، وادباء فضلاء ، وخطباء فصحاء ، وكتّاب بلغاء ، وفنّانون فنّانون ، وفلاسفة جهابذة ، ومشترعون محنكون ، وقوّاد عظام ، وابطال مشاهير ، لا يزال نور عبقريتهم ساطعًا في فلك تأريخ البشرية . الّا

ان طبقةً من الانام ، فريدةً في جنسها ، قد خلا منها المجتمع القديم ، الا وهي طبقة القدّيسين . اننا لا نجهل ان الوثنية قد اصمدت على الهياكل رجالًا كلّلتهم اعلام الجمهور باكاليل سماوية . لكن هؤلاء الرجال لم يتسنموا ذروة هذه الامجاد الا بفضل القوة والبطش ، لا بل بفضل الجرائم والقبائح ، اي بكل داعٍ ما خلا داعي القداسة . ولم يكن هؤلاء انصاف الآلهة المتبوّئون العروش في الهياكل الوثنيّة يشخّصون الانسان مرتفعاً نحو الألوهية ، بفضل كمالاته ؛ بل كانوا يمثلون الألوهية هابطة الى درجة الانسان ، بفعل الانحطاط والمذلّة . وغني عن التبيان ان ذلك لم يكن عجلبةَ مجدٍ وفخر للبشرية ، بل مدعاة خزي وعار للالوهية .

هذه كانت حالة العالم القديم المحتاط بشعرائه وخطبائه ومشترعيه وابطاله وسائر كبار رجاله . وبينما هو على تلك الحال ، اذ ظهر فجأةً حادث اذهل ، منذ نشأته ، ذاك العالم الذي ، مع كل ما افتخر به من المجد والسؤدد ، لم يكن الا نازلًا في دركات الفساد . فما ياترى قد جرى ؟ الذي جرى هو ان الدين المسيحي قد ظهر وانتشر . وقد تجلت فيه منذ فجره خاصته الفارقة ، اي تجلت فيه حياة مؤسسه الالهي في شخص اتباعه ؛ فاثبتت الوهيته بالفضائل الفائقة الطبيعة ، اي بالقداسة . وبالحق ان رسل المسيح وتلاميذهم لم يمتازوا بما أوتوه من صُنع العجائب وحسب ، بل قد كانت مزيتهم الفضيلة السامية . هذا السرّ حتى ان جميع المؤمنين ، في تلك الحقبة ، كانوا يُدعَون قديسين . وبعد الرسل ومعاصريهم ، قام في الكنيسة ، مدة القرون الاولى ، زمرٌ في زمرٍ من الاولياء وابطال الفضيلة ؛ فضلًا عن الوف في الوف من الشهداء الذين بلغت منهم القداسة الى اقصى حدّها ، اي الى سفك دمهم من اجل ايمانهم . وفي هذه الحقبة القديمة ، قد سطعت في سماء البيعة الشرقية والغربية شمس آبائنا القديسين الذين اضحوا جهابذة في العلوم ، وفرساناً يواسل في مضمار الذبّ عن حياض الدين ، وابطالًا في الفضيلة . نجتزئ بذكر اشهرهم :

اغناطيوس النوراني ، اكليمنضس الروماني ، پليكرپس ، ايريناوس ، اثناسيوس ، باسيليوس ، غريغوريوس ، قورلس ، ايرونيموس ، امبروسيوس ،

اوغسطينوس ، يوحنا فم الذهب ، افرام السرياني .

ولا تظن ان القداسة كانت مقتصرة على زمن نشأة الدين والقرون الاولى بل ان مجراها لم ينقطع قط في طبقات المؤمنين ، على مرور السنين ، وتوالي العصور لاننا اذ انتقلنا من الاجيال القديمة الى القرون الوسطى ، رأينا القداسة في خلالها سائرة باطراد ، ونامية بازدهار عجيب . اجل قد تلألأت القداسة في تلك العصور التي لا يزال ينعتها بعض المتشدقين من اهل عصرنا بالعصور المظلمة ، اي عصور التقهقر والبربرة . اذ اننا نرى فوق تلك القمم العالية التي يطيب فه ان يرفع اليها القديسين ليرسلوا منها انوارهم الى اقاصي المعمورة ؛ اجل هناك نرى ، متشحين بجلباب القداسة ، اشخاصاً ذوي عظمة مذهلة ، منهم برنردوس ، انسلموس ، دومنكس ، فرنسيس الاسيسي ، توما الاكويني الملفان الملاكي ، بونفنتورا الملفان الرافي ، البرتس الكبير ، لويس ملك فرنسة ، منصور الفراري ، كترينة السينية .

وبينما نشاهد هؤلاء الجبابرة ، جبابرة الفضائل وامثالهم كثيرين يشرقون على العالم شمس الفضيلة والقداسة ، نرى الوفاً والوفاً من الرجال والنساء يحققون هذه القداسة في اشخاصهم وان كان بدرجة اوطأ . كل ذلك لان روح الفضيلة المسيحية كان يرفرف فوق تلك العصور المضطربة بشعوبها المشتبكة ، كما كان روح الله يرفرف على المياه في بدء الخليقة .

واذا خامرك الشك بعد هذا ، في فاعلية نفوذ المسيح في الحياة الاخلاقية ، فالق معنا نظرة على الاعصر الاخيرة . لاحظ ذاك القرن الذي جرى فيه الاضطراب الهائل ، قرن الاحتجاج الذي قلب العالم الديني ، وهيأ الانقلاب السياسي ؛ ذاك القرن السادس عشر الذي لقب فيه اولاد الكنيسة المردة اسهم بلقب بابل الثانية . ففي هذا العصر وما يليه قد سطعت ، كما في القرون الخوالي ، انوار القداسة . اذ فيه اشتهر قديسون وقديسات ، من مثل تريزية الكبيرة ، يوحنا الصليبي ، اغناطيوس لويولا ، فرنسيس كسافاريوس ، فرنسيس السالي ، منصور دي پول ، فيليبس نيري ، وغيرهم كثيرون .

فالتاريخ اذن شاهد ان الكنيسة لم تخلُ من القداسة على تعاقب القرون ،

واختلاف الازمان ، وتقلب الاحوال. وعصرنا هذا الحاضر ، هذا العصر الذي قد اعترته امراض ادبية متنوّعة ، او تتصور انه معدم من القداسة ؟ كلا ، اذ في عصرنا هذا قد ظهر قديسون عديدون نرى في مقدمتهم خوري آرس قدوة الكهنة وشفيعهم ، وبُنوَا لأبر صاحب القداسة المذهلة ؛ وغير بعيد عنا ، لا بل في ايامنا الحاضرة ، قد عاشت تلك الزهرة النقية ، زهرة الكرمل ، تريزية الصغيرة ، التي لا تزال من علو السماء تمطر العجائب والبواهر على الارض. وهل تمر سنة دون ان يرفع فيها الحبر الاعظم عدة افاضل على مذابح الكنيسة ليمجدهم المؤمنون ، ويقتدوا بفضائلهم . وهذا شرقنا العزيز ، بعد ان كان مبعث القداسة ، لأن فيه ظهر الرب القدوس ؛ وبعد ان اشتهر فيه مئات والوف من النساك والمتوحدين القديسين ، ومن الشهداء والملافنة المعترفين ، لم يخلُ حتى في ايامنا هذه ، مع قلة المسيحيين فيه ، من رجال ونساء ، نالوا نعمة الاستشهاد ، او بلغوا ذروة القداسة.

* * *

على ان هناك من الناس ، حتى بين المسيحيين ، من يقولون: اين هم القديسون؟ ألا ارونا القدّيسين ، فاننا لم نصادفهم! فلمثل هؤلاء يحق لنا ان نجيب قائلين: اجل ! يا قوم ، انكم لم تلاقوا القديسين ، وهذا لربما كان لتعس حظكم. ان لم تلتقوا بالقديسين ، فهل يا ترى بحثتم عنهم ؟ وفي اي طريق ؟ انكم سائرون في طريق الامجاد الباطلة ، والاطماع المقوتة ، والغنى والثروة والارباح المحرمة ، والافراح والملذات الدنسة ، ولعلكم سائرون في سبيل الخلاعة. فلا عجب ان كنتم لا تصادفون القديسين ؛ لانه شتان بين طريقكم وطريق القديسين . لكن ولوا وجهكم شطر الفضيلة : من مثل التفاني والكفران بالذات ، والتقشف والاماتة والصبر والوداعة . الخلاصة اتجهوا الى طريق الصليب والجلجلة ، فهناك ترون ما يعجب ويدهش ، هناك ترون القداسة زاهرة بين جميع الصفوف والحالات ، بين الافراد والجماعات. ، في العائلات والجمعيات ، بين العلمانيين والكهنة والرهبان والراهبات. هناك تشاهدون اناساً يزهدون في المال والعيال ، ليخصصوا ذاتهم لخدمة الله وعبادته . منهم من ينسون ارومتهم وكرم محتدهم ،

فيتصاغرون متنازلين الى مداراة الضعفاء والسقماء . منهم شبان وشابات ، من مصافّ الرهبان والراهبات ، يضحّون بحب الاوطان ، والاهل والخلان ، فيظعنون الى الاصقاع النائيـة ليزلوا ميدان حرب هي حرب الفضيلة ، هي حرب المحبة والرحمة ، هي حرب القداسة . هناك تلاحظون انلساً ، قاضين سحابة عمرهم ، في تربية الصغار ، وايواء الايتـام ، وتعليم الجهال ، واصلاح المغرورين ، وهداية الضالين . هناك ترون عيوناً تدمع ذارفة العبرات السخينة على كل نوع من انواع الآلام . هناك تجدون ايدياً ذات نقاء من جهة تهزّ الاطفال في المهود ، ومن جهة اخرى تعين الشيوخ والعجائز ؛ ثم تغسل الجروح النتنة ، وتضمد الكلوم المؤلمة . هناك ترون صدوراً نحيفة تستنشق الروائح الفاسدة في المستشفيات والملاجئ والدور الحقيرة . ومـا هو افضل من كل هذا ، وما هو روح كل هذه ايات الفضيلة ، انكم تجدون هنـاك نزاهة وتجرداً بالغاً اقصى حده ، واهتماماً برقة دونها رقة الأم الرؤوم ؛ ممـا لا يتمالك المرء بازائه ان يقف حائراً ، ويهتف صارخاً : ان هذا الحادث غريب ؛ ان هـذا المشهد عجيب ، لم تألفه البشرية في القديم .

اجل ان هذا الحادث لغريب ! وهذا المشهد لعجيب ! لانها حادث ومشهد الدين المسيحي الذي كان في نشأته ولم يزل ، على كرور الايام ، وتعاقب الاعوام والعصور ، دين الاعمـال المذهلة ، دين الفضيلة المثلى ، دين القداسة السامية ، دين الرجال العظام ، دين الابطال البواسل ، اي دين الاولياء القديسين . وما ذلك الا من تأثير ونفوذ مؤسسه الالهي ربنا يسوع الذي هو مثال القداسة ، مؤتي القداسة ، مركز القداسة ، رب القداسة ؛ وهو باكورة القديسين ، زعيم القديسين ، رب القديسين ، قدوس القديسين . له المجد والحمد في كل آن والى دهر الدهور ، آمين !